سلسلة

مقالب ½ الدنيا ٢

عربة الإسعاف

بقلم : محمد المزاتى

رسوم : عمرو أمين

دار الرشاد

الناشـــــــر : **دار الرشـاد**
العنـــــــوان : ١٤ شارع جواد حسنى ـ القاهرة
تليفـــــــون : ٣٩٣٤٦٠٥ - ٢٩٩٢٦١٥
رقـــم الإيـداع : ١١٣٧١ / ٩٤
الطبـــــــع : **مؤسسة للطباعة والنشر**
العنـــــــوان : ١٠٧ ش السلام ـ أرض اللواء ـ المهندسين
تليفـــــــون : ٣٢٥٦٠٩٨ ـ ٣٢٥١٠٤٣
الطبعـــة الأولى : ١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥م
الطبعة الثانية : ١٤١٦ هـ ـ ١٩٩٦م
الطبعة الثالثة : ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣م

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

الغلاف : عمرو أمين

(١/٢ الدنيا) كما أوضحنا فى القصة الأولى من سلسلة مقالبه ، (ليلة القيامة) شاب مهرج طرد من المدرسة بعد تكرار رسوبه وسوء خلقه وما دبره فى الناظر والمشرفين فى مدرسته من (مقالب) بالغة السخف كادت تعوق عملية الدراسة والاستيعاب ، بل تقضى على حياة البعض من زملائه !!

ولقد شُتِّى بهذا الاسم أو اشتهر به خلافًا لاسمه الأصلى (محمود سويلم) تهكمًا وسخرية من أهل قريته لقصر قامته ، وإن مالت بشرته إلى البياض وشكله إلى الوسامة ، بيد أن خُلق الإنسان هو الذى يعطيه قدْرَهُ بين النَّاس ، وصفاء قلبه ونقاء ضميره ، فالله سبحانه ينظر إلى قلوبنا لا إلى وجوهنا ، وأيضًا ما يقدمه لإخوته وجيرانه ومواطنيه من جليل الخدمات . ولا غَرْوَ فلقد قدم ذوو العاهات والمعوقون جَليلَ الأعمالِ لأوطانهم ، بل وما أفاد الإنسانية جمعاء ، فها هى (هيلين كيلر) العمياء الصماء البكماء التى حازت على عدة شهادات دكتوراه وألفت الكثير من الكتب العلمية والثقافية وأنشأت جمعية للصُّمِّ والبُكْمِ لأول مرة فى العالم ، وها هو « طه حسين » أديب مصر العظيم لم يَمْنَعْهُ عماه من الحصول على ستةٍ من شهاداتِ الدكتوراه وأن يكُونَ له من الكتب العالمية فى الثقافة والأدب والسيرة وعلوم الدين ما تُفَاخِرُ به مِصْرُ ، و « خالد حسان » السباح المصرى العالمى الذى عبر « المانش » بساق وذراع واحدة فصار أسطورة من أساطير التحدى والكفاح وكسر حواجز المستحيل .

❊ ■ ❊

أيضًا مَاعَرَضَهُ التليفزيون العربىُ مُنْذُ عِدَّةِ أعوامٍ لنموذجٍ مشرف للمرأة المعوَّقة « سيدة الدار » بكل المعانى الرائعة ، بل إنه لَيَحْضُرُنى الآن ما عرضه من قيام لتلك السيدة التى ولدت بلا ذراعين ـ هكذا شاءت الإرادة العليا ـ إلا أن هذا لم يمنعها من أن تتزوجَ وتنجبَ العديدَ من الأولادِ وتقومَ بواجباتها المنزلية الصعبة واليسيرة ؛ فتربى أطفالها وتُغْنَى بهم وتطهو الطعام وَتصنع الفطائِرَ والشطائِرَ والحلوى لزوجها الفلاح الصينى الذى ألِفها وأحبها كل الحب ، وأن تحصل على نصيب الأسد من السعادة مما لا تحصلُ عليه زوجاتٌ أخرياتٌ غيرُ معوقاتٍ !!

نَعُودُ إلى هذا الصبى الشقى المهزار (١/٢ الدنيا) فنجد أنه يعيش (بمقالبه) التى تضر ولا تنفع على هامش الحياة سائرًا من هوَّةٍ إلى هوَّةٍ ، ومن فشل إلى فشل ليموت على تلك الشاكلة خلوًا أو صِفْرًا من كل قيمة حيث أنه لم يجد بعد « مقلبه الأول » من ادعاء (الساعة) أو قيام القيامة خيرًا من (إدارة الإسعاف) .

تلك هى الإدارة التى تَـخِفُّ [١] إلى الجريح أو الملدوغ مِنْ لَسْعَةِ عَقْرَب أو ثعبـانٍ أو من هـو فى حـال ما بين الحيـاة والموت ؛ فيسرع قـائدهـا إليـه يَنْهَبُ الأرضَ [٢] (بسرينته) أو كلاكسـاته المحبَّبَة ليكون إلى جـانبه وقت الشدة . لم يجدِ الَنَّشـرِّيرُ غيرَ إدارةِ الإسعافِ ؛ ليصنع فيها " مقالبه " !! .

---

(١) أى تسرع .

(٢) كأنما يطوى سائق السيارة الأرض طيًا أو يسرقها تحت عجلات عربته من شدة السرعة .

إن تلك الإدارةَ هيئةٌ خيريةٌ تعملُ بمساعدةِ القادرينَ من ذوى النفوسِ السَّاميةِ النبيلةِ ، ومن ثم فإنها تقبلُ الإعاناتِ ، بل يَسْعَى أفرادُهَا إلى جمع التبرعاتِ من أهل المدن والقرى ولو فى صورة (فروة) خروف العيد ؛ فيدقون الأبواب قائلين بصوت أَلِفَهُ[1] النَّاسُ : فروة خروف العيد ، أو اختصار (فروة الخروف) فيقدمها لهم كل من فَدَّى أو ذبح ؛ لتكون الحصيلةُ فى النهاية تلاًّ كبيرًا من الْفِرَاءِ تبيعُهُ الهيئةُ بأثمانٍ تساعدُ على استمرار إدارتها بواجبها النبيل .

---

(١) أى : اعتاده .

إلاَّ أنه حالما قَرُبَ « العيدُ » هذا العام بدأ (١/٢ الدنيا) يُفَكِّرُ فى حِيلَةٍ شَيْطَانِيَةٍ تَحْرِمُ تِلْكَ الإِدَارَةَ مِنْ جَمْعِ الفراءِ من أهالى القرية ؛ فأخذ يَدُسُّ مَسْحُوقًا شديدًا كاويًا أو ما يطلق عليه (بودرة العفريت) خُفْيَةً فى وَبَرِ الْخِرافِ فى المراعِى والحقولِ ؛

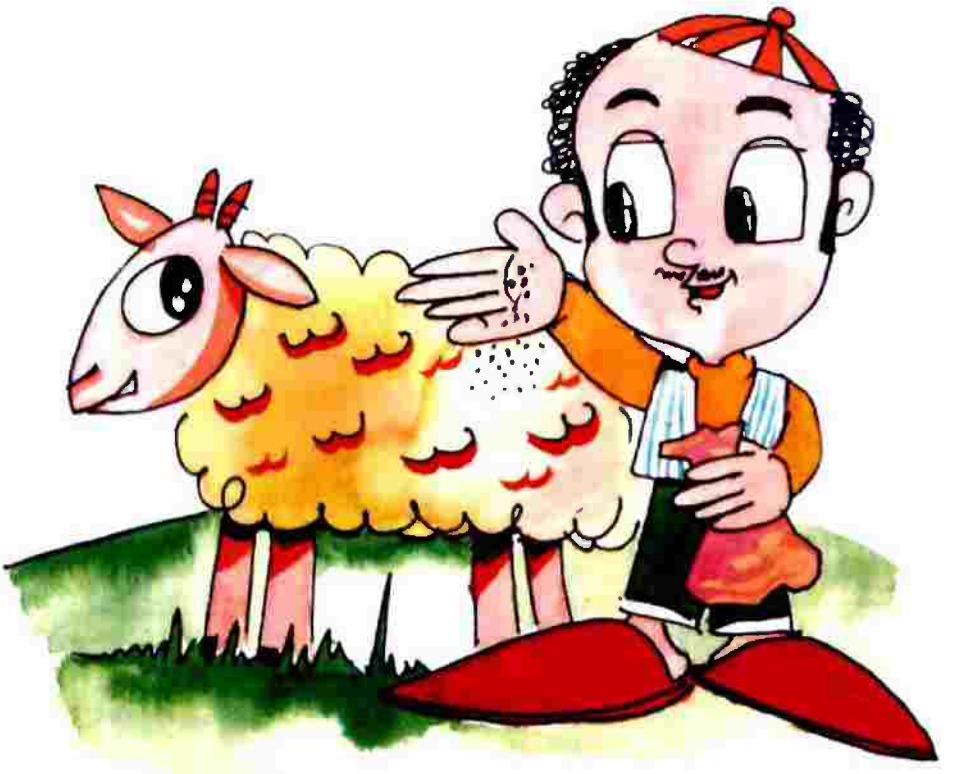

فَتَحَوَّلَتِ الْـخِرَافُ إلى كـلابٍ مَسْعُورةٍ ، تجرى وتقفز فى الهواء فى هيستيريا وجنونٍ ، أو تسرعُ ثاغيـةً أو صائحةً ؛ لتحُكَّ أجسامَهَـا فى جذوع الأشجارِ أو جُدُرِ[1] الحوائِطِ أو تُلْقِى بِنَفْسِهَا فى الـتُّـرَعِ والآبار ؛ فتزيد فعالية « البودرة » أو المادة الصاروخية فتحك أكثر وأكثر حتى تسيل دمًا وتتحول أجسادُهَا إلى جِرَارٍ مثقـوبـةٍ ، ومن ثَمَّ فإنها قـد ضَعُفَتْ وأصـابها الهزالُ وهـى الأنعـامُ[2] التى لاتستطيعُ الدفاعَ حتى عَن نَفْسِهَا أو مجرد الشكوى !! .

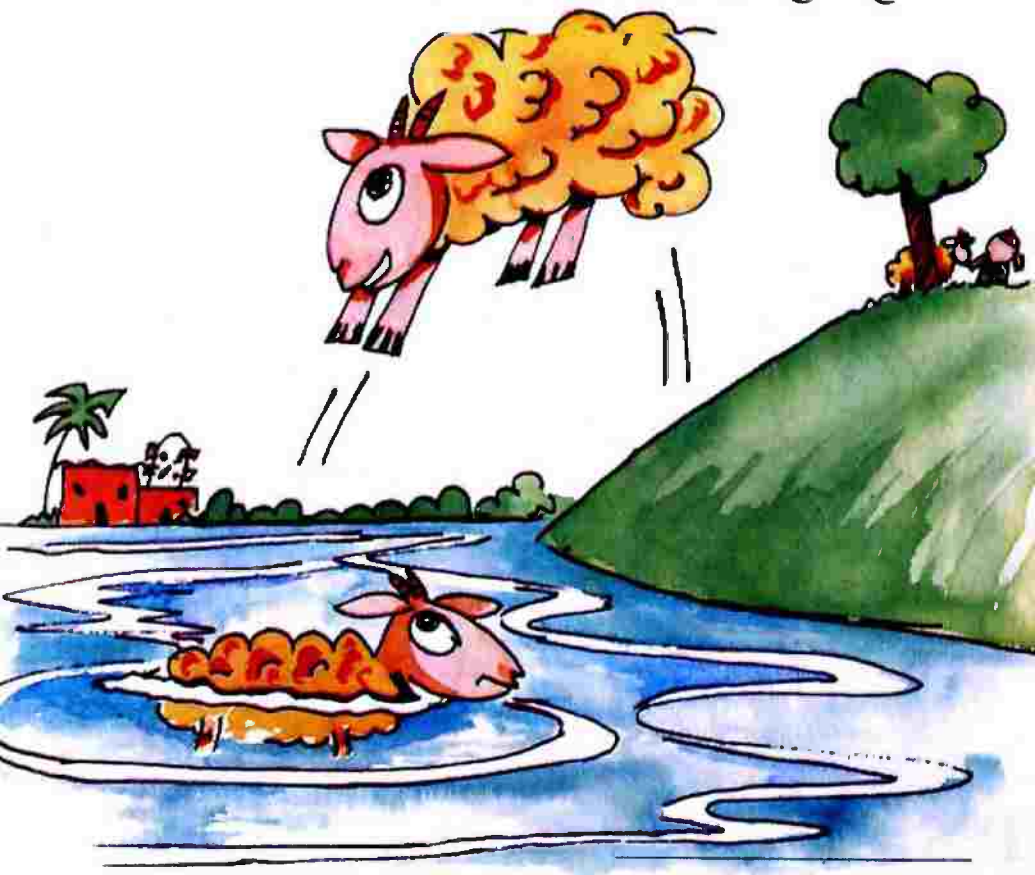

(١) جُدُرْ (بضم الجيم والدال وتسكين الراء) جمع جدار وهو الحائط .
(٢) الأنعام بفتح النون أى البهائم .

تَحَيَّرَ الفلاحـون وعقدوا مـا يشبه الاجتماع فى دار أحـدهم ، إِثْرَ[1] الاجتماع حتَّى اهتدوا إلى أَنَّ خيرَ وسيلةٍ لوقفِ سُعَارِ[2] بَهائِمِهم أو تلك الحُمَّى المجنونة التى أصابتها هى قَصُّ وبرها .

---

(١) أى : بعد .

(٢) السُّعَار : نَوْعٌ من الجنون .

بدأَتْ عمليـةُ قَصِّ وَبَرِ الخرافِ وتَخْلِيصِهَـا من الصُّوفِ الـذى رُبَّمَا احتوى على مرضٍ غريبٍ لا يَدْرُونَهُ ، وبـالفعل فإنها قد شُفِيَتْ وبَدَأَتْ تَسْتَرِدُّ قواها ، وتكتنز بالشحم واللحم ، حتى إذا حَلَّ العيدُ ذَبَحَ كُلُّ فلاحٍ خروفَهُ أو فِدْيَتَهُ .

وَبَدَأَ يمرُّ رجالُ الإسْعَافِ يجمعون الفراءَ كعادتهم ؛ فلا يجدون شيئًا ، فكلما دقوا بابَ أحدٍ طالبين (فروة خروف العيد) ؛ أجابهم الناس بصوت واحد : ليس عندنا شيءٌ . . ليس عندنا شيءٌ ؛ فَظَنَّ موظفو الإدَارةِ أنها حَرْبٌ على الإسعافِ ، أو على إدارتهم الخيرية ، فعادوا إلى المدينة ؛ ليضعوا القريةَ فى (البلاك لست) أو القائمة السوداء .

وَتَشَاءُ الصدفةُ أن تتعسَّرَ ولادةُ إِحْدَى الفـلاحاتِ بَعْدَها ؛ فتحتـاج إلى «عربةِ الإسعافِ» ؛ لِنَقْلِهَا إلى مُسْتَشْفَى المدينة لإجراءِ جراحةٍ قيصريةٍ عاجلةٍ .

فيدقُّ العمدةُ التليفونَ إلى الإسعافِ كالعادةِ ؛ فَيُجِيبُهُ مَنْ يقولُ لَهُ : نَأْسَفُ لِعَدَمِ تلبيةِ الطلبِ ؛ لِوَضْعِنَا قَرْيَتَكُمْ فى القائمةِ السَّوداءِ ، فَيبَلِّغُ أَهْلَ الحاملِ فيرتفَعُ الصُّرَاخُ !! .

ويعـود مَنْ يرجـو العمدةَ أن يتـوسَّلَ إلى الإسعافِ حيثُ أَنَّ مـريضَتَهُمْ فى حالٍ من الخطـورةِ لا تسمحُ بساعـةٍ واحدةٍ من التأجيلِ . . إنـه لو كـان نقلها بسيـارة أجرة أمـرًا جائزًا أو حتى بطـائرة لفعلـوا ، ولكن المشكلةَ تتـوقفُ على سيـارةٍ مجهزةٍ ورجـالٍ مُتَخَصِّصِين ؛ فيتصلُ ثـانيةً ليَتَلَقَّى نَفْسَ الـردِّ : نَأْسَفُ لِـوَضْعِ قَـرْيتِكُمْ فى القائِمَـةِ السَّـوْدَاءِ ؛ فيرتفعُ الصراخ ليعـودَ فيتصلُ ويتصلُ ويـرجـو حتى إذا كـانت المرة الأخيرة ، جَـاءَ الـردُّ بـالموافقـةِ تِلْكَ المَرَّةِ بـدافع الْإِنْسَانِيَّةِ وَحْـدَهَا لا من أجل المريضـة أو أهل قريتها اللئام[1] الذين اسْتَكْثَرُوا حتى مجرد فروة خروف على هيئةٍ خيريةٍ !! .

---

(١) اللئام : أى البخلاء .

لَكِنَّهُ ما إنْ ارتفعتْ (سرينـةُ) السَّيَّارَةِ فى سَمَاءِ القريةِ ؛ حتى تلقاهـا نَذِيرُ سوءٍ فى دارِ المريضةِ ، ولم يكُن النَّذِيرُ غَيْرَ مَوْتِهَا فى اللحظةِ الأخيرةِ !! نَعَمْ لَقَدْ لَفظَتِ النَّفَسَ الأخيرَ فى اللحظةِ التى تَوقَّفَتْ فيها عربةُ الإسعافِ أمام بَابِ الدارِ ليرتفع بكاء لايكادُ ينقطعُ تلك المرة ، وليبكيها الشيوخُ قبل الأطفال ! .

وكان من بين الأطفـالِ صَبِيٌّ من الغرباء فى زِىِّ المتسولين يَـذُوبُ فى دموعه كَأَنَّـهُ شمعةٌ تَفْنَى أو تصيرُ إلى الـزوالِ !! لقـد كان طبيعيًّـا أن يَشْتَدَّ حـزنُ أهلِ القـريـةِ على تِلْكَ التى لم تُسِئْ لأحـدٍ يـــــومًا ، وَلَكِنْ أَنْ يَبْكِيَهَـا ذَلِكَ الطِّفْلُ الغَرِيبُ ؛ فَقَدْ كَانَ هَذَا مدعاةً للعجب !!! .

بَيْدَ أنهم ما إن استوضحوا جليةَ الأمرِ حتى رَوَى لهم مكيدةَ هذا (القزم) الخسيس المسَمَّى بـ ($\frac{1}{2}$ الدنيا) الذى كَلَّفَهُ بشراءِ المسحوقِ الغريبِ من المدينة علَى زَعْمِ أن الأمر لا يَتَعَدَّى مُزْحَةً أو دعابة يُسَلِّيَانِ بها وَقْتَ الفَرَاغِ لقاء جنيه كاملٍ أعطاهُ أجرًا له لتروحَ ضحيتها تلك البريئة المسكينة . . ثم أكمل من خلالِ دموعِهِ أن الراحلةَ لم تكن سوى أمٍّ ثانيةٍ بعد وفاة أَبَوَيه ، فلطالما وَجَدْتُ فِيْهَا ذلِكَ القَلْبَ الكبيرَ الذى يذوبُ حنانًا على أمثالنا نَحْنُ النعساءَ الغرقَى فى بحرِ الحياةِ حيثُ يمضى كلٌّ فى طريقِهِ ولا يَمُدُّ يَدَ الرَّحْمَةِ لِينتشلنا !! .

قَالَ الطِّفْلُ هَذَا الكلامَ ؛ ليجتمعَ الناسُ حَوْلَهُ ليسألوه دليلاً على ما يقوله فيُخبرهُمْ : بتورُّم عينِ ($\frac{1}{2}$ الدنيا) إثْر نطحةِ أحدِ الخرافِ عند محاولته وَضْعِ المسحوقِ لَهُ ؛ ليبلِّغُوا البوليس بفعْلِهِ الدنئ وليفرَّ إلى قريةٍ مجهولةٍ رَبَّمَا ليفعل فيها فِعَالاً لا تخطر على بال !!! .